

السلسلة المسائية في نصرة الصادق الأمين....وسيرته القدسية

الحلقة (٣)

قيم السماء

**تتجسد في خاتم الأنبياء (صلى الله عليه
وآله وسلّم)**

بقلم

حجة الإسلام والمسلمين

أم محمد تقي

مقدمة لجنة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجل فرج آل بيت محمد
يا ربّ العالمين،

ان محاولة الوصول الى كامل كنه أخلاق النبي الاكرم
(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعرفة شؤونه المختلفة هي شيء
غير متيسّر يقيناً لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يكون
ذلك ومن نريد تقييمه والغوص في شخصيته هو الانسان
الكامل والشخص الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو من
يصفه الله جلّ وعلا بقوله {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} وأي
خلق؟ وأي نفس عظيمة كبيرة؟ وهي نفس المصطفى (صلّى
الله عليه وآله وسلّم) وهو الذي تاهت فيه العقول وعجزت
عن ادراك كنهه عباقرة الفن والادب، فأين نحن من ذلك
الجيل الشامخ والصرح المنيف، ونحن أصحاب المعاصي
والذنوب وكل قبيح وهو صاحب كل شيء حسن وكمال
وعلو شأن وقداسة نفس. إن الأقلام تقف عاجزة من أن تصل
الى سفح علوه وارتفاعه والعقول تقف حائرة منبهرة بما حباه

ربه الجليل من حسن السجية ودمائة الاخلاق وحسن الطبع
ولين العريكة مع من يعاشر ويخالط، فسلام الله
وملائكته وجميع الانبياء والمرسلين عليه وعلى آله
الطاهرين.

لكن ذلك ما لا يدرك كُله لا يترك جُله فإن بيان ما
نستطيع بيانه من أخلاقه وشؤونه المختلفة أمر ندمت إليه
الشرعية وفرضه واجب ردّ الجميل له (صلى الله عليه وآله
وسلم) و أَلزَمنا إِيَّاه الحاجة إلى المثل الأعلى الذي نقتبس من
أنواره في سعينا لرضا الله سبحانه وتعالى. ولذلك فقد شرع
المؤمنون الاختيار في بيان أخلاق النبي الاكرم (صلى الله
عليه وآله وسلم) وإظهار بعض شؤونه المختلفة في الحياة مع
من يخالط ويعاشر، طالبين بذلك مرضاة الله سبحانه
وتعالى واستجابة لأمر المولى الحسنى (دام ظله الشريف) في
الدفاع عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بإظهار
تراثه وأخلاقه بما هو متاح وممكن. وكان ممن استجاب
ولبى النداء الأخت المؤمنة الحُجَّة أم محمد تقي جزاها الله
عن نبيه وأهل بيته أحسن الجزاء لاستجابتها للدعوة،
فأظهرت بعض أخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض ما

قام به من أعمال مثل تكوين دولة ووضع نظام لها وحثه على الأخوة والتكاتف ونبذ كل ما يفرق وتعزیز كل ما یجمع الشمل ویؤدي الى الوحدة وغير ذلك من الامور. ویصلح أن يكون هذا البحث ضمن بحوث السلسلة الماسية في نصره الصادق الأمين.... وسيرته القدسية الحلقة (٣)، نسأل الله أن ینفعها بهذا الجهد في الدنيا والآخرة. والحمد لله أولاً وآخراً.

لجنة البحوث والدراسات
الحوزة العلمية المقدسة - النجف الاشرف

المقدمة:

لو قدر لمنصف ان يدرس شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جميع نواحيها سواء اكان الدارس لشخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) فرداً أو رب أسرة أو عضواً في مجتمع أو حاكماً أو قاضياً أو معلماً أو قائداً عسكرياً أو... أو... لوقف من خلال تتبعه على ان التكامل الشامل في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انما هو دليل حاسم على ارتباطه بالله الكبير المتعال فانه من غير المؤلف ابداً ان يشهد التاريخ الإنساني إنساناً قد بلغ به الكمال ذلك المبلغ وفي كل شأن من شؤونه..

صحيح ان التاريخ شهد عظماء كثيرين بيد ان العظمة لدى اولئك انما تحصل في جانب فحسب فقد يكون الرجل عظيماً في مستواه الذهني أو التخطيط العسكري أو في قيادة اجتماعية أو في اكتشاف علمي أو نحو ذلك في حين تكون الجوانب الأخرى من شخصية العظيم عادية أو دون المستوى العادي أحياناً.

بيد أن شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت من نمط خاص فكراً وعملاً وعلى المستوى الفردي والاجتماعي فانه في كل شأن من شؤون حياته لا تبارى عظمته ولا تطاول قمة مجده.

وسنتناول بعض ذلك في هذه السطور البسيطة ونستمد من الله العون والتوفيق.

محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..... الإنسان

ان متابعة واعية للصورة التفصيلية التي طرحها كتاب الله العزيز للشخصية الاسلامية. تطلعا على ان عبادة الله تعالى والارتباط به واستشعار مخافته تشكل العنصر الاول من عناصر الشخصية التي يرسمها القرآن الكريم قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } (المؤمنون/ ١-٩)

فالملاحظ أن هذه الآيات الكريمة – وهي بصدد طرح مواصفات الشخصية المؤمنة – تفتتح وصف المؤمنين الصادقين بالخشوع عند الوقوف أمام الله الكبير المتعال في صلاتهم. ثم تعدد بقية السمات الجوهرية في الشخصية الإسلامية فتختتمها بصفة المحافظة على أوقات الصلوات المكتوبة.

هذا من ناحية أهمية العنصر الروحي في الشخصية الإسلامية اما العنصر الأخلاقي الذي يشكل المقوم الثاني من مقومات الشخصية المؤمنة فان الآيات الكريمة ذاتها قد طرحته بعد ذكر الناحية الروحية دون فصل بينهما فالإعراض عن اللغو وحفظ الفروج وأداء الأمانة ومراعاة

العهد ونحو ذلك شروط جوهرية لقيام الكيان العام للشخصية الإسلامية.

بيد أن الأمور إثارة للانتباه ان الطرح القرآني لعناصر الشخصية اما يوفر خلق مركب روحي أخلاقي يتعذر الفصل بين عناصره.

ومن هنا فان الشخصية الإسلامية وحدة مترابطة الأجزاء والعناصر يعسر بحال فصل جزء منها عن الآخر ولعل أهم أغراض الآيات الكريمة التي ذكرناها قبل قليل انما هو التأكيد على هذه الحقيقة حين افتتحت مواصفات شخصية المؤمن بالخشوع في الصلاة وختمتها بمحافظته على أدائها في الأوقات المعلومة.

وفي القرآن الكريم الكثير من النصوص التي تنهج هذا النهج فتطرح الصفات التفصيلية للشخصية التي يريد الله تعالى شخصية تنظم فيها عبادة الله تعالى والأخلاق العملية وكل ألوان التعامل في الحياة الإنسانية في عقد متناسق جميل، ولعل من نافلة القول ان نعيد الى الأذهان مجدداً ان النصوص الكريمة تجسد حقيقة كون العبادة عند المؤمن نوعاً من الأخلاق لانها وفاء لله تعالى وشكر لآلانه واعتراف بجميله السابغ وتوقير لمن هو أهل للتوقير والتعظيم وكلها طليعة مكارم الأخلاق لدى العقلاء من الناس.

شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

إن الصيغة القرآنية لمواصفات الشخصية المؤمنة بنماذجها المختلفة قد أخذت طريقها للتجسيد العملي في العملية الرائدة التي قادها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

فشخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد مثلت قمة التسلسل بالنسبة لدرجات الشخصية الإسلامية التي توجد عادة في دنيا الإسلام فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) عظيماً في فكره ووعيه. قمة في عبادته وتعلقه بربه الأعلى. رائداً في أساليب تعامله مع أسرته والناس جميعاً. مثالياً في حسم الموقف والصدق في المواطن ومواجهة المحن فما من فضيلة إلا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سابق إليها وما من مكرمة إلا وهو متقلد لها ، ومهما قيل من ثناء على أخلاقه السامية قديماً وحديثاً فإن ثناء الله تعالى عليه في كتابه العزيز يظل أدق تعبير وأصدق وصف لمواصفات شخصيته العظيمة دون سواه

فقول الله (وانك لعلى خلق عظيم) القلم / ٤ ، يعجز كل قلم وكل تصور وبيان عن تحديد عظمته فهو شهادة من الله سبحانه وتعالى على عظمة أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمو سجاياه وعلو شأنه في مضمار التعامل مع ربه ونفسه ومجتمعه بناء على ان الأخلاق مفهوم شامل لجميع مظاهر السلوك الإنساني وحركته في الواقع.

وهي شهادة لا يبلغ مدى عظمتها احد سوى الله تعالى
ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ هي صادرة من الله
الكبير المتعال فسجلها ضمير الوجود وثبتت في كيانه
وهي تتردد في الملاء الأعلى الى ما شاء الله عز وجل.
ثم ان تحمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها بعد
تلقياها من لدن ربه الأعلى دليل آخر على عظمته فهو
(صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم أكثر من سواه من عباد
الله من هو الله صاحب تلك الشهادة الخالدة الصادقة.
بيد انه مع ذلك يظل ثابتاً مطمئناً راسخاً لا تعرف نفسه
التكبر ولا التعالي ولا الافتخار بعد تلك الشهادة وبعد ذلك
الثناء الذي لا يوازيه ثناء ولا يبلغ مداه مديح فكم شهد
التاريخ من رجال يختل توازنهم اذا تلقوا مديحاً من زعيم
لهم فيستبد بهم التعالي والانتفاخ مع ان ما تلقوه من ثناء
يصدر من بشر ذي دائرة محدودة.
غير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتلقى
ما تلقاه من ثناء عظيم من الكبير المتعالى سبحانه يظل
هو متماسكاً مطمئناً دونما اضطراب أو تحول في موقف أو
قول أو سلوك.

الله اعلم حيث يجعل رسالته

ومن هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفوًّا
لِلرسالة الإلهية وصورة حية منها:

(قل: ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ولقد بلغ من عظمة شخصية رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

ان سئل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

فأجاب: كيف اصف أخلاق النبي وقد شهد الله تعالى بانه

عظيم حيث قال: (وانك لعلی خلق عظيم) ، على ان سمو أخلاق

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلو شأنه في مضمار الفضيلة وكرم

النفس والذبل والظهارة انما جاءت حصيلة لأعداد خاص توفر لرسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الدعوة الإسلامية وواكبه بعدها.

وبسبب من تلك الرعاية الربانية الخاصة باينت شخصيته

(صلى الله عليه وآله وسلم) جميع أبناء مجتمعه وصار

علماً في سمو أخلاقه وهديه ومضرباً للأمثال في فضله

وعلو شأنه واسماه قومه حتى أهل الجاهلة منهم

((الصادق الامين)).

وبعد ان اكتمل تكوين شخصية المصطفى (صلى الله عليه

وآله وسلم) وفقاً لإرادة الله عز وجل بعثه برسالته الخاتمة

لينهض باعظم عملية تغييريه في تاريخ البشرية.

لقد عمل (صلى الله عليه وآله وسلم) وسعه لإحداث تلك العملية التغييرية في حياة الإنسان في الفكر والعمل ومرافق الحياة ومؤسساتها كافة فكانت تجربته (صلى الله عليه وآله وسلم) أروع وأتقن تجربة عرفها تاريخ البشر على الإطلاق.

وإذا كان القرآن قد احتل مركز الإشعاع الأول في الحياة الإسلامية في إطار الفرد والمجتمع فإن سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد احتلت المقام الثاني بعد الكتاب العزيز ان لم نقل بأنها والقرآن يشكلان وجهين لعملة واحدة.

الجانب الروحي من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

أولاً: علاقة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالله تعالى

علاقة الإنسان المسلم بالله تعالى ليست محدودة في زاوية معينة من زوايا حياته أو في احد متطلبات النفس الإنسانية فان العلاقة بالله كما حدد الله سبحانه أبعادها لعبادة من خلال شريعته التي ارتضاها لهم إنما هي مجرد كامل بكل خلجات النفس وبكل حركة في الحياة في الصلاة والصيام والحج والاعتكاف بشعائر التعبد وبالعلاقات الأسرية والاجتماعية بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت فالعلاقة الحقيقية بين العبد وربّه تبارك وتعالى لا تستبقي في النفس وفي الحياة جانباً إلا ويستلهم فيها المسلم عبوديته لله ويعلن طاعته وخضوعه من خلالها للعزيز الرحيم من خلال تجسيد أوامره وتطبيق أحكامه ، وقد أشار كتاب الله العزيز لتلك الحقيقة بقوله: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الانعام / ١٦٢)

على ان شعائر الإسلام الكبرى: كالصلاة والصيام والحج ونحوها وان كانت جزءاً من العبودية لله تعالى تلك التي تشمل جوانب الحياة الإنسانية كلها إلا ان هذه الشعائر

تختص في كونها صوراً محددة في الكيفية والعدد والوقت من قبل الله تعالى فلا لتبديل أو تحوير في صيغها ، ثم انها جميعاً وقفات خالصة خاشعة أمام المدبر العظيم سبحانه وليس فيها غايات آخر خلافاً لسواها من شؤون الانسان فالزواج والنشاطات الاقتصادية مثلاً تنطلق من منطلقات اخرى وتقوم على خلفيات حب المال والميل للجنس مثلاً وهي توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر قبل عصر التنزيل وبعده.

ومهمة شريعة الله تعالى في هذا المضمار انما هي تهذيبها وتحديد المسار الشرعي لها لكي تدخل الإنسان وهو يمارسها في اطار العبودية لله خلافاً للشعائر التعبدية في الإسلام فانها لم تنشأ من خلال خلفية أو مطلب آخر وإنما شرعها الله جملة وتفصيلاً وأمر عباده بأدائها بكيفيات معينة ومواقيت محددة ليس للإنسان نصيب في تغييرها والتبديل فيها مدى الزمان والاجيال.

ووفقاً لهذا التوضيح لطبيعة العلاقة بالله سبحانه وتعالى فإننا سنتناول علاقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بربه الأعلى من خلال الشعائر التعبدية التي فرضها الله سبحانه أو ندب اليها.

ثانياً: الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلاته

الصلاة سَكِينَةُ النفس وطَهارة الروح وأقوى مظاهر العلاقة بين العبد وربّه وقد أمر الله عباده المؤمنين ان يقيموا الصلاة في اوقاتها الخمسة وهم من أجل ذلك يترددون على ساحة الله العظيم كلما آن وقت الصلاة وللصلاة في الرسالة الإسلامية منزلة لا تبلغها منزلة عبادة أخرى وقد ورد في التأكيد على إقامة الصلاة والمحافظة على وقتها وعدم التفريط بها وعلى أهميتها في دنيا الإسلام طائفة عظيمة من النصوص لا تكاد تحصى.

قال تعالى يصور حواراً بين الملائكة وسكنة جهنم:
{ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ } المدثر
٤٤-٤٢/

وقال تعالى { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } البقرة / ٤٥

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((رأس هذا الامر الإسلام ومن اسلم سلم وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد لا يناله الا فضلهم))^(١)

(١) الطبراني عن معاذ/السيوطي / الجامع الصغير / ط دار خدمات القرآن (مصر) / ج ٥٨٩/١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ان عمود الدين الصلاة وهي اول ما ينظر فيه من عمل ابن ادم فان صحت نظر في عمله وان لم تصح لم ينظر في بقية عمله))^(٢).

وبناءً على ما تحتله الصلاة من مكانة عظيمة في الرسالة الإسلامية فقد كان اهتمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بها وتعاهده لأمرها منقطع النظير الأمر الذي تكشفه سيرته العطرة في هذا المضمار:

عن الحسين بن علي (عليهما السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بصدد ذكر خشوع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلاته يقول: ((كان يبكي حتى يبتل مصلاه خشية من الله عز وجل من غير جزم)).

ولعظيم خشوعه في صلاته يقول مطرف بن عبد الله بن الشخير في رواية له عن ابيه قال: (يصلي ولصدره أزيز كأزير المرجل)^(٣).

وهو إشارة الى تردد صوت بكاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صدره الشريف واختناقه بعبرته ، ولأهمية

(٢) الحر العاملي / وسائل الشيعة / ط دار احياء التراث العربي (بيروت) ج/٢/ص ٢٣.

(٣) الاصبهاني / أخلاق النبي وآدابه / ط مؤسسة الاهرام (القاهرة) سنة ١٩٨١م / ص ٢٠١.

الصلاة لديه وتعاهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمرها ، أشار لذلك أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في حديث له يوصي به أصحابه: ((وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه: { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا } فكان يأمر أهله ويصبر عليها نفسه))^(٤).

ولعظيم شوقه للوقوف بين يدي الله في الصلاة انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ((كان ينتظر وقت الصلاة ويشتد شوقه ويترقب دخوله ويقول لبلال مؤذنه: أرحنا يا بلال))^(٥)

ولمدى تعلقه بالله وانشداده اليه عن طريق الصلاة أشار (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديثه لأبي ذر الغفاري (رحمه الله) ((يا أبا ذر ! ان الله تعالى جعل قرّة عيني في الصلاة وحببها ألي كما حبب الى الجائع الطعام والى الظمان الماء فان الجائع اذا أكل الطعام شبع واذا شرب الماء روي وانا لا اشبع من الصلاة))^(٦)

وحول صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الليل يحدثنا عبد الله بن عباس بقوله: ((حتى اذا

(٤) محمد عبده /شرح نهج البلاغة /ص ٤٤٠

(٥) المجلسي /بحار الانوار /ج ٨٣ /ص ١٦

(٦) امالي الشيخ الطوسي /ج ٢ /ص ١٤١

انتصف الليل أو قبله أو بعده بقليل استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي فصلي ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين حتى جاءه المؤذن فقام فصلي ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلي الصبح)) (٧).

ومن صور تنفله بالليل وتوجهه الى تعالى ما رواه حذيفة بن اليمان قال: انه صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الليل قال ((فلما دخل في الصلاة قال: الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم قرأ البقرة ثم ركع وكان ركوعه نحواً من قيامه وكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم وكان اذا رفع رأسه قام قدر ما ركع وكان يقول لربي الحمد ثم سجد وكان سجوده نحواً من قيامه يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثم رفع رأسه وكان بين السجدين نحواً من سجوده يقول:

(٧) الاصبهاني /أخلاق النبي وآدابه /ص. ١٩٩

رب اغفر لي فصلى أربع ركعات يقرأ فيهن البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة))^٨
هذه اضمامة من الشواهد على تعاهد رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) لأمر الصلاة وعظيم خشوعه لله تعالى
فيها وشدة حرصه على التوجه الى ربه الأعلى من خلالها
ومدى اهتمامه ودأبه المتواصل على ادائها صلوات الله
عليه وعلى آله.

٨) الاصبهاني /أخلاق النبي وآدابه /ص. ١٩٤.

ثالثاً: صوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

الصوم في الشريعة الإسلامية لا يقف عند حدود ذلك المظهر السلبي المادي الذي يقوم على اجتناب تعاطي المفطرات وإنما قبل كل شيء عمل روعي ايجابي يهدف الى تحقيق تقوى الله سبحانه وتعالى فان أصاب العبد تقوى الله تعالى فان بقية الغايات من الصوم تأتي مذعنة بعدها قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } البقرة / ١٨٣ .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((الصائم في عبادة وان كان على فراشه ما لم يغتصب مسلماً))^(٩) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح))^(١٠)

ونظراً للأهمية البالغة التي يحتلها الصوم في الرسالة الإلهية فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كسب قصب السبق في مضماره كأحد الوسائل الأساسية لنيل رضوان الله تعالى والتقرب اليه:

عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصوم حتى يقال: لا يفطر ، ويفطر حتى يقال: لا يصوم ، ثم

(٩) العاملي / الوسائل / ج ٤ / ص ٢٩١ .

(١٠) المصدر السابق / ص ٢٩٤ .

صام يوماً وافطر يوماً ثم صام الاثنين والخميس ثم
آل من ذلك الى صيام ثلاثة أيام في الشهر:
الخميس في أول الشهر والأربعاء في وسط الشهر
والخميس في آخر الشهر))^(١١)

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((كان
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل
العشر الاواخر يعني من شهر رمضان شد المنزر
واجتنب النساء واحيا الليل وتفرغ للعبادة))^(١٢)

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ((صام رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) الدهر كله ما شاء الله ثم ترك ذلك
وصام صيام داود (عليه السلام) يوماً لله ويوماً له ما شاء الله ثم
ترك ذلك فصام الاثنين والخميس ما شاء الله ثم ترك ذلك
وصام البيض ثلاثة من كل شهر))^(١٣)

وهكذا كان صوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وتقربه لله تعالى من خلال أمر لا يبلغ مداه غير المقربين
الى الله من عباده من الرسل والأوصياء (عليهم السلام).

(١١) العاملي/الوسائل/ج٤/ص٣٠٥.

(١٢) الكليني/الكافي/ج٤/ص١٥٥.

(١٣) العاملي/الوسائل/ج٤/ص٣٢١.

رابعاً: دعاء المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكره الله تعالى

الدعاء في الإسلام تعبير حي عن شعور الإنسان بحاجته الدائمة الى عز وجل في جميع أموره واعترافه الخاضع بالعبودية له تعالى التي تتجسد في الشعور بالارتباط العميق بالله (١٤).

ومن البداهة ان الإيمان الواقعي لا يتحقق بدون هذا الشعور وهذا الإحساس إذ لا معنى للإيمان بالله تعالى دون الإحساس بقدرته التي لا تقف عند حد وقوته المطلقة التي لا تنتهي عند أمد.

ولأن الدعاء ترجمة حية لإيمان العبد بهذه الحقيقة العظمى فان الشريعة الالهية ما فتئت تحمل المؤمنين على الاهتمام بالدعاء والانشداد الى الله من خلاله والتماس رحمته وعفوه وتسديده وعلان الخضوع والعبودية له في كل آن. وقال عز وجل: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة / ١٨٦.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السموات والارض)) (١٥).

(١٤) محمد حسين فضل الله / قضايا على ضوء الاسلام ط ٢ بيروت/ ص ٢٩١.

(١٥) أصول الكافي / الكليني / المجلد الثاني / كتاب الدعاء / باب الدعاء سلاح المؤمن / ط دار الكتب الاسلامية / ص ٤٦٨.

ويحتل الدعاء الأهمية البالغة في الإسلام لكونه مخ العبادة والروح التي تسري فيها ولأنه التعبير الحي عن اعتراف العبد الخاضع بالعبودية لله تعالى كما أسلفنا ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان سباقاً إليه متعاهداً لأمره سبحانه فقد كان دائم الضراعة الى الله تعالى دائم الذكر له سبحانه حتى لا تكاد تجد ساعة من ساعات عمره الشريف دون ان تكون عامرة بالدعاء الى الله تعالى فهو يدعو اذا نزل به كرب أو هم ويدعو عند الصباح ويدعو عند الشدة ويدعو عند رؤية الهلال ويدعو في دبر كل صلاة ويدعو بعد كل نافلة ويدعو عند طلوع الشمس وعند السفر وبعد السفر ويدعو عند السحر ويدعو لحفظ القرآن ويدعو عند تجدد النعم بل يدعو في جميع حالاته وأوضاعه.

لقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) دائم الاتصال بالله دائم الاتشداد اليه بالضراعة والدعاء والذكر وهذه نماذج من ادعيته (صلى الله عليه وآله وسلم):

١- فمن دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا وضعت المائدة بين يديه: ((سبحانك اللهم ما احسن ما تبتلينا سبحانك ما اكثر ما تعطينا سبحانك ما اكثر ما تعافينا اللهم اوسع علينا وعلى فقراء المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات))^(١٦).

(١٦) الكليني / الكافي / ج ٦ / ص ٢٩٣.

٢- ومن دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الصلاة:
 ((اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وإسرافي
 على نفسي وما أنت أعلم به مني . اللهم أنت المقدم . وانت المؤخر . لا
 آله إلا أنت بعلمك الغيب . وبقدرتك على الخلق أجمعين ما علمت
 الحياة خيراً لي فاحيني وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي . اللهم اني
 اسألك خشيتك في السر والعلانية وكلمة الحق في الغضب والرضا
 والقصد في الفقر والغنى واسألك نعيماً لا ينفذ وقرة عين لا ينقطع
 وأسألك الرضا بالقضاء وبركة الموت بعد العيش وبرد العيش بعد الموت
 ولذة النظر الى وجهك وشوقاً الى رؤيتك ولقائك من غير ضراء مضرة
 ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهديين ،
 اللهم اهدنا فيمن هديت)).

((اللهم اني اسألك عزيزة الرشاد والثبات في الأمر والرشد واسألك
 شكر نعمتك وحسن عافيتك واسألك يا رب قلباً سليماً ولساناً صادقاً
 واستغفرك لما تعلم واسألك خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم
 فانك تعلم ولا نعلم وأنت علام الغيوب))^(١٧).

أما ذكر الله تعالى فانه لا يفارق شفتيه المباركتين قط ، فلا
 تراه إلا ذاكراً مسبحاً أو شاكراً أو مستغفراً ، فقد روي عنه
 (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان يكثر من قول:

(١٧) الكليني / الكافي / ج ٤ / ص ٥٤٨ / كتاب الدعاء .

((سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت التواب
الرحيم))^(١٨).

ويقول: ((اني لا استغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين
مرة))^(١٩).

وكان يقول: ((اللهم اني اسألك خير هذا اليوم ونوره
وهده وبركته وطهوره ومعافاته اللهم أني اسألك خير ما
فيه وأعوذ بك من شره وشر ما بعده))^(٢٠).

١٨) الكاشاني/المحجة/ج٢/ص٣١٥، الحاكم/مستدرك الصحيحين
/ج١/ص٥٠٢.

١٩) ابن ماجة/حديث رقم ٣٨١٦، الكاشاني/المحجة البيضاء
/ج٢/ص٣١٥.

٢٠) المجلسي/بحار الأنوار/ج١٦/ص٢٥٣، نقلاً عن المكارم.

خامساً: حج البيت الحرام

الحج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة شعيرة أساسية من شعائر الله عز وجل ألزم بها عباده المتقين القادرين على ادائها ففي هذه الفريضة ينتقل المسلم ببدنه وعقله ومشاعره وقلبه الى البلد الأمين للوقوف بعرفات والطواف ببيت الله الحرام الذي جعله الله تعالى مثابة للناس آمناً، كما جعل الله تعالى من بيته الحرام رمزاً لتوحيده ومرتكزاً لجمع الصف بين المسلمين على اختلاف أوطانهم وبيئاتهم وانتماءاتهم وطبقاتهم ولغاتهم وسواها اما عطاؤه للمسلم الفرد فانه يزوده بشحنة روحية عظيمة تملأ جوانحه خشية وتقوى لله تعالى وتصميماً على مواصلة السير على الطاعة والخضوع له سبحانه كما توقد في صدره شعلة الحماسة لدينه والحفاظ على حدوده ، ونظراً لما تحتله فريضة الحج من أهمية بالغة في دنيا الإسلام الحنيف راحت نصوصه الكريمة تحض المؤمنين على أدائه وتحذر القادرين من النكوص عنه وتشرح فلسفته وأثره الايجابي في حياة المسلم الذاتية والاجتماعية.

قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} آل عمران / 97

أو قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من أراد دنيا وآخرةً فليؤم هذا البيت))^(٢١)
وقال: ((الحجة ثوابها الجنة. والعمرة كفارة كل ذنب))^(٢٢)
وقال: ((العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة))^(٢٣)
هنا يجلى حرص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أداء هذه الفريضة المباركة مدعنا من خلالها لعزة الله متواضعاً لعظمته مؤدياً لحقه فكان من خلال هذه الشعيرة الإسلامية إماماً للمتقين ومقتدى للمؤمنين كما هو في كل طاعة وعبادة وأدب مع الله الكبير المتعال.

(٢١) الصدوق / من لا يحضره الفقيه / ج٢/ص ١٤١.

(٢٢) الصدوق / من لا يحضره الفقيه / ج٢/ص ١٤٢.

(٢٣) النووي / رياض الصالحين / مؤسسة الاعلمي بيروت / ص ١٩٦.

سادساً: تلاوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للكتاب العزيز

القرآن كتاب الله الذي نزل على عبده ورسوله على عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليخرج الناس من الظلمات الى النور وقد تكفل القرآن الكريم من خلال آياته المباركة بهداية الناس الى الحق والعدل والخير في جميع شؤونهم عبر الاجيال والقرون: ((ومن ابتغى الهدى في غيره ، أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزرغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه)) (٢٤)

وبالنظر لعلو شأن القرآن الكريم وشموخته وضرورته للمسلم ولكل إنسان شدد الإسلام الحنيف على الاهتمام والاعتصام بحبله من خلال قرأته وتدبره ووعي مقاصده وتجسيد مفاهيمه في دنيا الفرد والجماعة ، قال تعالى:

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } الإسراء/٩
{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } آل عمران
١٣٨/

(٢٤) السيد أبو القاسم الخوئي/البيان في تفسير القرآن /ص٢٧.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتي افضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله)) (٢٥)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) (٢٦)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل: يارسول الله وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت)) (٢٧)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من قرأ حرفا من كتاب الله ، فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف ، ولكن الف حرف ، ولام حرف وميم حرف)) (٢٨)

وكان هدفه (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلاوة القرآن الكريم وهو الذي انزل عليه ان يحرز المزيد من القربى الى الله تعالى وليكون قدوة للمؤمنين في تعاهد أمره والحرص عليه فقراءة القرآن بغض النظر عن مقاصدها وثمراتها الأخرى عبادة أيما عبادة كما تتجلى من خلال النصوص التي ذكرناها

وهكذا كان مرمى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قراءة القرآن الكريم ، وهذه بعض الروايات التي تشير

(٢٥) الكاشاني /المحجة /ج٢/ص٢١٠، نقلا عن الطبراني.

(٢٦) المصدر السابق ،نقلا عن البخاري.

(٢٧) الكاشاني /المحجة /ج٢/ص٢١١،نقلا عن البيهقي.

(٢٨) النووي /رياض الصالحين / ص ١٦٦ .

الى مدى اهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن
الكريم:

١- كان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرقد حتى يقرأ
المسبحات ويقول: في هذه السور آية هي أفضل من ألف
آية قالوا: وما المسبحات؟ قال (صلى الله عليه وآله
وسلم): سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.
(٢٩)

٢- وقد سئلت أم سلمة عن صلاة رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) وقراءته للقرآن فقالت: ((وما لكم
وصلاته: كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي
قدر ما ينام ثم ينام قدر ما صلى ثم يصبح ثم نعتت
قراءته فإذا هي نعتت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً))
(٣٠)

٣- ولشدة تفاعله مع القرآن الكريم ما رواه ابن مسعود
قال: ((قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اقرأ
عليّ القرآن. فقلت: يا رسول الله ! اقرأ عليك وعليك
انزل؟

(٢٩) الطباطبائي/سنن النبي (ص) /ص٣٠٩ ، نقلاً عن مجمع البيان.
(٣٠) ابن الجوزي / الوفاء باحوال المصطفى /ج٢/ص٥٠٥.

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دؤوباً على قراءة القرآن شغوفاً به فانه لا يترك القراءة حتى في حالات مرضه إذ يوصي أصحابه بالقراءة مع التدبر لا القراءة من أجل القراءة ومن أجل ذلك كان الواحد من أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ القرآن في شهر أو أقل كي يتسنى لهم تدبر آياته وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) الى هذا المعنى في حديث له مع تلميذه أبي بصير: ((وكان أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ احدهم القرآن في شهر أو أقل أن القرآن لا يقرأ هذر منه)) (٣١).

(٣١) الكاشاني/المحجة البيضاء/ج٢/ص ٢٢٢ .

سابعاً: يقين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوكله على الله

من ركائز الإيمان بالله عز وجل تفويض الأمر اليه والاعتماد عليه في مسيرة الحياة واستمداد العون منه في الشدة والرخاء والاعتقاد بانه تبارك وتعالى المدبر للملك والفعال لما يريد ويده وحده الاعطاء والمنع والرزق والحرمان والنصر والهزيمة والسبق والتخلف ، والتوكل على الله تعالى زاد المؤمنين في الحياة يمنحهم الثبات عند المحن ويدفعهم بقوة لخوض معركة الحياة ويملاً قلوبهم بالعزة والطمأنينة والاستعلاء على المصاعب والارتفاع على الشدائد.

وفي الكتاب العزيز وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصوص وافرة في الثناء على المتوكلين وحث

المؤمنين على الاتصاف والتمييز بروح التوكل واليقين:

قال تعالى: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } التوبة / ٥١

{ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } الطلاق / ٣

{ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } المائدة / ٢٣

وللمصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث كثيرة بهذا الصدد:

قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((من انقطع الى الله كفاه كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليه))^(٣٢)

وقال: ((من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده))

واذا تتبعنا سيرة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لإلفينا توكله على الله تعالى والثقة بما عنده أمراً لا يبلغ شأوه ولا يطال مداه وفي كل موافقة ونشاطاته وهذه بعض الملامح من سيرته العظيمة في هذا الشأن.

(٣٢) النراقي /جامع السعادات / ج ٣ /ص ٢٢١ .

ثامناً: صدقته المستحبة

من العبادات الإسلامية ذات الأثر الايجابي الفاعل في حياة الأمة الإسلامية الصدقة المستحبة فهي الى جانب كونها ذات رصيد كبير في تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية بما يترتب على ذلك من شيوع روح التآخي والود والألفة والشعور بالمسؤولية إزاء الآخرين من حملة الإيمان بالرسالة الإلهية فانها ذات مردود عظيم على المنفق ذاته مردود التقرب الى الله تبارك وتعالى والشعور بلذة طاعته والاستجابة لأوامره.

ولقد أهاب الكتاب العزيز بالمؤمنين لأداء الصدقة بعبارات تشرح الصدور الكريمة وتهفوا اليها القلوب الواعية التي يهتما ان تسدي المعروف وتزرع الخير وتبذل العون لكل ذي حاجة قال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } البقرة / ٢٦١ وقال عز وجل: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ... } الحديد / ١١

هكذا يمثل القرآن الكريم مسألة الإنفاق التطوعي في سبيل الله فمرة يكشف عن حقيقة نموها في معيار الله تعالى أضعافاً مضاعفة ومرة يطلع المؤمن على انه حين يمارس عطائه ذلك فكأنه يقرض الرزاق القدير والله سبحانه يتولى مضاعفة ذلك في وقت رده حيث يكون فيه العبد بأمس الحاجة اليه وأشدها اذ يكون العوض بعملة ذلك

العالم: عالم الآخرة وتقييمه (يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم)
وفي صدقة التطوع يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبيناً أهميتها وضرورتها للمحتاج والمنفق معاً:
((وتصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار)) (٣٣)

((ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته)) (٣٤)
و((من سره أن يدفع الله عنه نحس يومٍ فليفتتح يومه بصدقه)) (٣٥)

ومن وصية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) جاء فيها: ((واما الصدقة فجهدك جهدك حتى يقال ؛ قد أسرفت ولم تسرف)) (٣٦)
ومن أجل ذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سباقاً الى هذا اللون من العبادة كما هو في سواها من الطاعات والمبرات ووسائل التقرب الى العلي الكبير.
فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((ما منع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سائلاً قط إن كان عنده أعطى ، وإلا قال: يأتي الله به)) (٣٧)

٣٣) الكاشاني / المحجة البيضاء / ج٢ / ص ١٠٧ .

٣٤) المصدر السابق / ص ١٠٨ .

٣٥) الكليني / الكافي / ج٤ / ص ٧ .

٣٦) الكليني / الكافي / ج٤ / ص ٣ .

وعن علي (عليه السلام) في حديث له حول اخلاق
المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء فيه: ((وما
سئل شيئاً قط ، فقال: لا وما رد سائل حاجة قط الا
بها او بميسور من القول)) (٣٨)
وبهذه اللمحات الدالة تكون قد اتضحت أمامنا صور
عظيمة من علاقة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)
بالله عز وجل.

(٣٧) الكليني / الكافي / ج٤ / ص ١٥ .
(٣٨) الطبرسي / مكارم الأخلاق / ص ٢٣ .

الجانب الاجتماعي من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

أولاً: علاقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأمة

لكي نحيط بطبيعة العلاقة بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأمة سنعرض بعضاً من مصاديق تعامله (صلى الله عليه وآله وسلم) معها:

فعن السبط الشهيد الحسين بن علي (عليهما السلام) قال:

((سألت أبي عن دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك وكان إذا أوى إلى

منزله جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله عز وجل وجزءاً

لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك

على العامة والخاصة ولا يدخر عنهم منه شيئاً وكان من

سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر

فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين

ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
وأصلح الأمة من مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم
ويقول ليبلغ الشاهد الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع
على ابلاغ حاجته)) (٣٩)

ويمضي الإمام الحسين (عليه السلام) قائلاً: ((فسألته عن
مخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف كان يصنع
فيه :

فقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخزن لسانه
إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا يفرقهم ويكرم كريم كل قوم
ويؤليه عليهم ويحذر الناس الفتن ويحترس منهم من غير
ان يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويسأل
الناس عما في الناس فيحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح
ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
أو يملوا لكل عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجوزه الذين

(٣٩) الطبرسي /مكارم الأخلاق /ص ١٣ .

يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده أعمهم نصيحة
وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة))^(٤٠)

قال (عليه السلام): فسألته عن مجلسه: فقال: كان رسول الله
لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جل اسمه ولا يوطن
الأماكن وينهى عن ايطانها وإذا انتهى الى قوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كلاً من جلسائه
نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان أحداً أكرم عليه منه ومن
سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع
الناس منه بسطه وخلقه فكان لهم أباً وصاروا عنده في الحق
سواء)).

ومن مظاهر سمو سيرته مع أمته وحكمته في التعامل
معها انه كان يحدث الناس وفقاً لمستوياتهم العقلية فكانت
أساليب عرضه للأفكار وإجاباته على الاسئلة تختلف في
البعد والمستوى من شخص لأخر طبقاً للقابليات الذهنية
التي يتمتع بها الافراد وان كانت إجاباته واساليب عرضه
للقضايا لا تختلف من ناحية المرمى في مخاطبته

(٤٠) الطبرسي /مكارم الأخلاق / ص ١٤ .

للأشخاص ولهذا المعنى اشار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاته بقوله ((إنا معاشر الأنبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم))^(٤١)

وهكذا كانت سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أمته لقد كان يتعامل مع جميع الناس بعاطفة أبوية حانية تتفجر حباً فياضاً وحناناً غامراً على الرغم من مركزه القيادي في الامة والمكانة السامية التي لا تناظرها مكانة أبداً.

ولقد كان حسن سياسته لامته آية على حقيقة ارتباطه بالله تعالى واستلهامه منه فالواقع الاجتماعي والعقول البشرية يستحيل عليها ان تهتدي بغير هدي السماء الى ذلك اللون من الخلق السامي الكريم حتى كانت أخلاقه وحدها سبباً في إسلام الكثير من الناس.

كما ان سياسة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك كانت من أسرار نجاحه في دعوته فأى عاقل يعامل بمثل ذلك الخلق الرفيع ولا يتألف قلبه ومن الذي يقابل بمثل تلك العاطفة الصادقة والمعاملة المخلصة ولا يتفجر رضا وتسليماً وقناعة برسالته (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٤١) الكليني / الكافي / ج ٨ / ص ٢٦٨ .

ثانياً: تواضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

التواضع خلق في معاملة الناس بقدر ما يكون عبادة إسلامية يندب الشرع الإلهي اليها كذلك هو يعبر عن إحدى صيغ المفاضلة بين توحيد الكلمة وجمع الصفوف وإشاعة الود والوفاق بين أبناء الأمة وأشعارهم بالكرامة والغاء أي تعال ولأي سبب من الأسباب كان.

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقدر ما يحث على التزام فضيلة التواضع في التعامل فإنه من ناحية عملية كان المتواضع الأول في دنيا المسلمين فقد تجسد في الحقيقة بسيرته العظيمة مع الناس ، فعن ابن عباس قال: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاه ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير))

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ((خمس لا ادعهن حتى الممات: الاكل على الحضيض مع العبيد وركوبي الحمار مؤكفاً ، وحلبي العنز بيدي ولبس الصوف والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي))

مع احتلاله مركز قيادة الأمة في الفكر والعمل فإنه كان يبدو فرداً من الناس لم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك والسيادة وما يتبعها من خيلاء وزينة كان قريباً

سهلاً هينا يلقي ابعد الناس وأقربهم أصحابه وأعدائه
وأهل بيته ووفود دول الأرض المعاصرة لدولة الإسلام بلا
تصنع ولا تكلف فكل شيء يصدر عنه كان طبيعياً على
سجيته

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): ((قال رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم): أمرني ربي بسبع خصال حب المساكين والدينو
منهم وان أكثر من لا حول ولا قوة الا بالله وان اصل رحمي وان قطعني
وان انظر الى من هو أسفل مني ولا انظر الى من هو فوقي وان لا
يأخذني في الله لومة لائم وان أقول الحق وان كان مرأاً وان لا اسأل أحداً
شيئاً)) (٤٢)

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جم
التواضع وافر الادب يبدأ بالسلام ويفشيه بين الناس
ينصرف الى محدثة بقلبه الصغير والكبير المرأة والرجل.
وهكذا كانت علاقة امته به (صلى الله عليه وآله وسلم):
علاقة ادب وحب ووقار وطاعة واجلال ومهابة.

(٤٢) الطباطبائي / سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ص ٨٩.

ثالثاً: مصاديق من حلم المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في فضيلة الحلم عن المسيء نموذجاً رائعاً كسائر أخلاقه ومعاملاته فهو لا يعرف الغضب الا حين تنتهك للحق حرمة فحينها لا يقوم لغضبه شيء حتى يهدم الباطل ويزهقه اما سوى ذلك فانه انا الناس عن الغضب فهو احلم انسان عن الجاهل لا يعرف أدب الخطاب او مسيء الى رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاته أو منافق يتظاهر بغير ما يبطن وحلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعفوه لا تتكشف عظمتها الا اذا تذكرنا من انه انما يعفو مع القدرة على امضاء ما يريد بما يملك من قدرة على ذلك فهو في وضع يمكنه من ان يقتص من كل مسيء ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حليماً في كل المواقف والأحوال الا موقفاً ينتهك فيه الحق فانما هو القصاص يكون هو الرد العادل على المعتدي ولعظمة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في حلمه وعفوه عن أساء اليه تراه وكأنه الحلم قد تجسد بشراً سوياً فعن هند قالت: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذا كان التعدي على

الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها)) (٤٣)
بهذه النفس الرحيمة وبهذا الحلم الذي لم يعرف التاريخ له
نظير يعامل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد
الناس عداوة له بعد ان تمكن منهم انه الخلق النبوي
الكريم الذي لا يدانيه خلق.

(٤٣) ابن الجوزي / الوفا باحوال المصطفى / ج ٢ / ص ٤٢٠.

رابعاً: نماذج من صبره

في بداية الدعوة واجه الاضطهاد والتعذيب والإيذاء والتجويع والسخرية والردود الفجة والتهم والافتراءات اذ تحمل كل ذلك وسواه بصبر وإباء وهمة عالية تتصاغر عندها همم الرجال

ولم يكن الأذى مقصوراً على شخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يومها بل ان الذي ناله من الاضطهاد والعذاب تعرض له أصحابه كذلك بيد أنه كان يثبتهم على الحق ويدعوهم الى الصبر والثبات ويشحذ همهم لمواجهة المحنة حتى تمر فتراه (صلى الله عليه وآله وسلم) يمر على آل ياسر في ساحة التعذيب ويثير فيهم روح الثبات قائلاً ((صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة))

كما يحرض المؤمنين السابقين على المواجهة والتزام الحق يقول: ((قد كان من قبلكم لتمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار فوق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليمتن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون))^(٤٤)

بيد أنه لم ينثن عن دعوته العظمى فيواصل المسيرة حاملاً المشعل المشع بالهدى والخير ويعرض دعوته على قبائل

(٤٤) المجلسي / البحار / ج ١٨ وصور من حياة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ٢١٢.

العرب مبلغاً كلمة الله لعباد الله وطالبا النصره والدعم والتأييد ، وحين زار الطائف للغرض ذاته وقد واجه أهلها بأكثر الأساليب لوماً وخسة وفضاظة فقد أغرى أهلها به الصبيان والعبيد فصاروا يرمونه بالحجارة حتى أصبح لا يرفع رجلاً ولا يضع أخرى إلا على حجر فشجوا رأسه ودموا جسده الشريف، غير انه تلقى ذلك بالصبر الجميل ودعا ربه بذلك الدعاء الخاشع الجليل ((اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني أو عدو ملكته أمري؟ ان لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي))^(٤٥) وهكذا تجمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصبر على المأساة التي حلت بالمسلمين يوم أحد وأشدّها قتل سيد الشهداء حمزة (عليه السلام) والتمثيل به أشنع تمثيل.

أرأيت كيف يمتحن صبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي كل مرة يعلو فوق كل امتحان ويواجه الأسي والألم بصبر لا يخالطه هلع أو قنوط انها أخلاق النبوة في أرفع صورها وأعلاها.

(٤٥) ابن الجوزي / الوفا / ج ١ / ص ٢١٢.

خامساً : نبي الرحمة

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} {الأنبياء ١٠٧}

لقد أَلِفَ الإنسان عبر تاريخه ان ساسة الأمم وقادة الحروب تغلب على نفوسهم القسوة وجفاف الطبع بيد ان رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بعيدا عما اتسم به هذا الفريق من البشر. فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون شديدا الى أقصى حدود الشدة وحازما الى ابعد حدود الحزم كل ذلك اذا كان الموقف يتطلب شدة وقوة وحزما وهو في الصبر كذلك قمة وفي الشجاعة تطأطأ الرؤوس بين يديه أكبارا لشجاعته غير انه مع هذا وذاك فهو القمة في رحمته كما في سائر أخلاقه.

ومن هنا فانه لأمر عادي تجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعيناه تفيضان دمعاً وهو يبكي رحمة لمريض يعاني من علته او فقيد افتقد او يتيم فقد أباه بل ان نفسه العظيمة تتفجر رحمة حتى للحيوان اذا نزل به ظلم أو أذى.

عن ميسرة بن معبد قال: إن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكنى أهل جاهلية وعبادة أوثان وكنى نقتل الأولاد وكانت عندي بنت وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها فدعوتها يوماً فاتبعنتي فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد فأخذت فرميتها - أخفيتها في البئر وكان آخر

عهدي بها أن تقول: ياأبتاه ياأبتاه فبكى رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وكف دمع عينيه)
هذه بعض الشواهد من رحمة الرسول (صلى الله عليه
وآله وسلم) حيث كان (صلى الله عليه وآله وسلم) مصداقا
لقول الله تعالى في كتابه العزيز { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ
رَحِيمٌ } التوبة/ ١٢٨

الجانب السياسي من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

إدارة الدولة في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الله في محكم كتابه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}. عندما نتكلم عن خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإننا نتكلم عن الإنسانية الكاملة بكل ما ترمز إليه من معاني الإيمان والحق والخير والفضيلة التي تجسدت في شخصية النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي صاغته القدرة الأزلية والعناية الربانية فاستحق الخطاب من الله بقوله تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} وامتاز بذلك عن كل الأنبياء والمرسلين (Γ) الذين جسدوا خط الله في الأرض ودعوا الناس إليه.

ومما لا شك فيه أن أية مهمة يريد الإنسان القيام بها، فإنها تفترض وجود القدرة الكافية ليقوم بها، وكلما كانت المهمة أكبر وأعظم أثراً، لا بد أن تكون القوة والإرادة أقوى وأقدر لإنجازها والوصول بها إلى الغاية والهدف المراد. وبما أن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كلفه الله تعالى بإجراء أكبر عملية تغييرية في المسيرة الإنسانية عبر التاريخ وهي (تحويل المسيرة عن خط

الفساد والانحراف والضلال إلى خط الهداية والإيمان (والصلاح) فكان لا بد أن تكون القابليات والمؤهلات عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متناسبة مع حجم تلك المهمة الجليلة التي كانت بحجم الإنسانية لعصره وللعصور القادمة كما قالت الآية الكريمة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}.

ومن هنا نرى أن العناية الإلهية قد تكفلت بتهديب نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتربيتها لتكون مؤهلة للقيام بأعباء تلك المهمة العظيمة، والقرآن مليء بالآيات الشاهدة على العناية الإلهية بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لصقل شخصيته وإيصالها إلى ذروة درجات الكمال الإنساني التي جعلت من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل دولة بكل ما للكلمة من معنى، وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، أو كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال (وإنك لعلى خلق عظيم)، ثم فوَّض إليه أمر الناس والأمة ليسوس عبادته).

وبعد اكتمال الاستعداد الإيماني والروحي وكل الجوانب والعوامل المؤثرة في إيصال الدعوة الإلهية جاء الخطاب الإلهي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتكليف بحمل الرسالة الإسلامية وأدائها، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ}، ومن هذا الخطاب الإلهي بدأت الخطوة الأولى في رحلة تغيير المسيرة

الإنسانية المعذبة والمضطهدة التي كانت تعاني الضياع والتشتت والفرغ الروحي والإيماني ومجردة من كل هدف نبيل وعظيم تعمل من أجل الوصول إليه والتمسك به، وكانت بحاجة إلى المرشد والدليل والشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير الذي يضيء لها السبيل وينير لها طريق الحق الواضح والجلي والتميز عن باقي الطرق التي كانت الإنسانية ملتزمة بها سواء عن اقتناع كما هو الحال عند فئة الحاكمين، أو عن ضعف وقلة إرادة وعدم وضوح السبيل الصحيح عند الفئات المقهورة والمعذبة.

وهنا بدأت حركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال حملة التبشير القائمة على الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وترك عبادة الأصنام ونبذها من عقول الناس وقلوبهم، وتعليم الناس والأمة طرق الاتصال والارتباط بالله سبحانه وتعالى لأنه المعبود الحقيقي الذي لا يقاس بغيره ممن هو من مخلوقاته ولو ابتدعها الناس وجعلوا منها آلهة تُعبد وتُقدّم لها الهدايا والقرابين، ولذا ورد في القرآن قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

ولا شك بأنه يجب أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أداء هذه المهمة "رجل دولة" بكل ما تعنيه هذه الكلمة وتحتويه من مضامين وأبعاد، فهو المصطلح المتعارف إطلاقه على الإنسان الذي يمتلك المؤهلات والقدرات على إدارة المجتمع في الحالات المختلفة ونقله

من حالة متدنية على كل المستويات إلى حالة عالية ومميزة في كل المجالات المناسبة مع الأهداف المطلوب الوصول إليها بواسطة قيادة "رجل الدولة" الحكيم والمتوازن والعالم إلى أين يريد أن يصل بشعبه وأمتة وكل من هو تحت لوائه وقيادته.

والدولة هي الكيان السياسي والإطار التنظيمي لوحدة المجتمع وحياته الاجتماعية والاقتصادية، وهي التي تمتلك حق إصدار القوانين والسهر على تنفيذها وتطبيقها بما يحقق الأهداف المطلوبة عبر ضبط حركة المجتمع ككل والسهر على رعايته وحمايته من كل من يحاول إبعاده عن أهداف الدولة الملتزمة بخطها ونهجها.

ولابد للدولة من "دستور" يتضمن القوانين والقواعد والأنظمة التي تحدد شكل الحكم ومساره على كل المستويات، سواء في علاقة الدولة بمواطنيها أو في علاقاتها مع المحيط والدول الأخرى. وهذه المفاهيم "رجل الدولة" و "الدولة" و "الدستور" لها معان محددة في زماننا، ولها أنماط ونماذج متعددة تبعاً للفكر الذي تنتمي إليه وتصوغ دستورها على أساسه، ويحكم تلك الدول "رجال دولة" مؤمنون بعقائدهم ويسهرون على تنفيذها على أكمل وجه يقدرون عليه.

إلا أن هذه المفاهيم الثلاثة لها في الإسلام دلالات ومعانٍ مختلفة من حيث المضمون والفكر والسلوك، وإن تشابهت الأسماء لأنها صارت متعارفة من حيث أصل المعنى الذي يُشير إليه كل مفهوم فيها.

فأولاً المطلوب من "رجل الدولة" في الإسلام السهر على تحقيق هدفين أساسيين لا يمكنه تجاوزهما أو إهمالهما وهما:

١- إبقاء حركة المجتمع على تواصل دائم مع الله عز وجل من خلال فتح كل الطرق والأساليب التي تربط الناس بخالفها من خلال "نظام العبادات" وتشجيع كل الناس على الاهتمام بهذا الجانب الرئيس والمهم في عقيدتنا الإسلامية.

٢- السهر الدؤوب والتخطيط السليم للحفاظ على مصالح الأمة ودرء المفسد عنها، وتشجيع كل حركة بناءة في المجتمع للوصول إلى الحياة الأفضل والأرقى من خلال الاستغلال الجيد والنافع للإمكانات والموارد والثروات بما يعود بالنفع والمصلحة لكل أفراد المجتمع ليعيش الجميع ومن كل المستويات وهو متمتع بالحد الأدنى من مقومات الحياة السعيدة والأمنة والمستقرة.

ونحن كمسلمون نعتقد أن "رجل الدولة" و "الدولة" و "الدستور" لهم مرجعية واحدة وهي "العقيدة الإسلامية" لا غير، والتي طبقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المجتمع الإسلامي الأول في "المدينة المنورة" وهو الحجة علينا على مدى العصور، وإلى آخر يوم من أيام الإنسانية في هذه الدنيا الفانية.

وقد ظهرت إدارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كرجل دولة على أرفع طراز من خلال قيادته الحكيمة والرشيده والتي يمكن تلخيصها بالعناوين العامة التالية:

الأول: وُحِدَ المسلمون وجمَعهم ولمْ شملهم في المدينة المنورة بعد الهجرة من مكة، وقرب بالتأخي بين المهاجرين والأنصار الوحدة بينهم ونشر الألفة والمودة والتعاون الإيجابي لما فيه خير الجميع، ولذا "بَدَّ اللهُ سبحانه قد امتدح نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) على جمعه للقبائل المتناحرة والمتنافرة تحت لواء "التوحيد" وقد قال سبحانه في ذلك: {وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}.

الثاني: تحصين مجتمع المدينة لأنه كان النواة الأولى والبذرة الأساسية للدولة الإسلامية، لأن ذلك المجتمع بعناصره المتنوعة وقبائله المتعددة كان بحاجة إلى أجواء من الأمن والسلام والهدوء لتنظيم شؤون تلك الدولة الفتية وتقوية صمودها لتكون قادرة على مواجهة التحديات والعقبات والصعوبات التي كانت موجودة حولها وتترصدها لإسقاطها والانهاء منها، وعلى رأس هؤلاء "قريش" التي رأت في دولة الإسلام تهديداً لحاكميتها وسلطتها على الأمور في الجزيرة العربية آنذاك، ثم اليهود الذين كانوا في المدينة وعلى مقربة منها وكانوا يتآمرون عليها كذلك.

الثالث: إدارة قضايا الحرب والسلام والعلاقات مع الدول الأخرى في ذلك العصر، ولذا جهز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مجتمع المدينة ليكون قادراً للدفاع عن عقيدته وعن دولته،

خصوصاً أن المتربصين بدولة الإسلام كانوا قد شرعوا باعتماداتهم وابرار كراهيتهم وضيق صدورهم من تلك الدولة، ولذا وضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولوياته في هذا المجال، فكانت "قريش" بما تمثل الخطر الأول الذي إن سقط على يد المسلمين بقيادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تتغير الكثير من الموازين للقوى في كل المنطقة، لأنها كانت "رأس الحربة" في التجييش لقتال المسلمين والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع تكرار الاعتداءات أذن الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأله (وسلم) بالجهاد بقوله تعالى: { أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ }.

بالفعل عملت قريش على خطين: أولهما، إخافة المسلمين لإشعارهم بأن قريشاً لا تزال القوة الرئيسية وهي صاحبة القرار. وثانيهما، منع امتداد الإسلام خارج المدينة المنورة لإبقاء المسلمين محاصرين فيها بلا سند أو دعم من خارجها، إلى أن بدأت المعارك الكبرى مثل "بدر" و "أحد" وغيرهما، وصولاً إلى "صلح الحديبية" الذي كان بداية العد العكسي لسيطرة قريش وكان إيذاناً لسقوطها في المستقبل القريب، ويروى أن رجلاً قال عن ذلك الصلح: "ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت"، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتح، لقد رضي المشركون أن يدفعوا بالراح عن بلادهم ويسألونكم القضية ويرغبوا إليكم في الإيمان

وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهذا فتح عظيم". وفتح ذلك الصلح الباب مشرعاً لانتشار الإسلام انتشاراً سريعاً في وقت قصير، وقد أنزل الله في القرآن بعد ذلك الصلح {إننا فتحنا لك فتحاً مبيناً} حيث ذكر أكثر المفسرين أنها نزلت بعد الحديبية نظراً للنتائج المهمة التي ترتبت على ذلك الصلح.

الرابع: التسامح واللين مع الأمة، وهذه الصفة كانت بارزة في شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولعبت دوراً مهماً في دخول الكثيرين في الإسلام، أو ثبتت إيمان المسلمين بدينهم، وقد امتدح الله هذا الخلق من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: {مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءَ بَيْنَهُمْ}، وهذا التسامح كان نابعاً من طبع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن حكمته في التعامل مع الأمور واستيعابها وتحويلها إلى إيجابيات لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولذا ورد عنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أمرت بمداواة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة"، وكان أسلوب اللين والتسامح من أسباب تقوية الروابط بين المسلمين ورص صفوفهم وتنافسهم في أعمال الخير، وقد تجلى التسامح النبوي بعد فتح مكة المكرمة حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"، مع أن الكثير من هؤلاء حارب

الإسلام بقوة ودون هواده، وكانت قمة التسامح عندما قال كلمته المشهورة: "إذهبوا فأنتم الطلقاء".

فاللين والتسامح من أهم صفات رجل الدولة الذي يعرف أهدافه التي يريد الوصول إليها ويعرف الأساليب التي توصله لبلوغ ما يصبو إليه، ولذا لم يستغل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوة المسلمين للانتقام والتشفي، بل عمل بمقولة "العفو عند المقدرة"، واستعمل القوة للبناء والأمن وحماية المسلمين من الأعداء.

الخامس: الالتزام الدقيق بتطبيق أحكام الإسلام على الجميع من دون أية استثناءات أو إعفاءات أو مجاملات، وفي هذا المجال برزت الإدارة الرشيدة والحازمة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضد المخالفين لأحكام الإسلام من دون مراعاة للمكانة أو المنزلة الاجتماعية أو أي ميزان آخر كان معمولاً به في الجاهلية، لأن الإسلام لا يعترف إلا بموازين الله القائمة على أن: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، وليس أكثركم مالاً أو جاهاً أو شهرة، من دون مضمون إيماني وأخلاقي، حتى ورد عنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "والله لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، فتطبيق الأحكام لا يحتاج إلى التراخي أو التهاون مع المخالفين والمنحرفين، لأن ذلك يخالف الأهداف الإسلامية، وقد يؤدي التهاون إلى شيوع الفتنة والفساد بين الناس، والحفاظ على المجتمع في العيش بعيداً عن الانحراف والرذيلة هو حق لا يمكن التسامح فيه، لأن الهدوء والأمن

والسلام في المجتمع هو الذي يدفع للوصول إلى الحركة المنتجة والعمل المبدع المفيد والنافع في الدنيا والآخرة.

من هذه العناوين الإجمالية للإدارة النبوية نرى ضخامة الانجازات التي تحققت حينها وما أحدثته من تغيرات جذرية في حركة مجتمع المدينة الإسلامي، ثم على مستوى الجزيرة ككل، ثم على مستوى العالم كله، وهذا ما يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رجل دولة من طراز رفيع، بل هو الأرفع والأرقى عبر التاريخ والعصور، وهذا الكلام ليس من باب التعصب، بل من باب الحقيقة والواقع، وليس أدل على ذلك أن صاحب كتاب "أعظم مئة رجل في التاريخ" وهو غير مسلم اختار النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) الأول في تسلسل تلك المئة بسبب إنجازاته العظيمة للإنسانية إلى زماننا هذا وإلى آخر يوم من عمر البشر في هذه الدنيا.

ولهذا، فإن الاقتدار النبوي على تحويل حركة الواقع السلبي في زمانه إلى حركة وعي في ضمير ووجدان الفرد والأمة وإبراز القابليات الإنسانية بعد تحررها من قيود العبودية والاستغلال البشع إلى أن تصبح حركة منتجة وبناءة للوصول إلى المجتمع المطابق للنموذج الإسلامي الذي صاغه الله وأوحى به إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحقق في مجتمع المدينة المنورة في زمانه وحياته (صلى الله عليه وآله وسلم)، هذا كله يدل على الخبرة الدقيقة والمعرفة الراقية في إدارة شؤون المجتمع

وقيادته نحو الأهداف الأصيلة للحياة البشرية على النحو
الذي أراده الله أن يتحقق في الحياة الدنيا.

الغرب ينحني تعظيماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

لا يمكن لأحد أن يحيط بشخصية أعظم رجل في الكون ألا وهو الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث لم تبرز على طول التاريخ مثل هذه الشخصية العظيمة التي تجسدت في رجل أحدث تغييرات واسعة في التاريخ الإنساني، وقد اعتبر أحد الكتاب الغربيين في كتابه (المئة الأوائل) الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المرتبة الأولى من عظماء التاريخ البشري، كما واعتبره أعظم شخصية في تاريخ العالم بما حققه من نجاح عظيم في إبلاغ رسالته وتأسيسه لدولة إسلامية كبيرة، وحضارة عريقة ظلت تغذي العالم بالعلم والمعرفة والعطاء لقرون عديدة، حيث يقول الدكتور مايكل هارث أستاذ الرياضيات والفلك والفيزياء في الجامعات الأمريكية وخبير هيئة الفضاء الأمريكية:

(لقد اخترت محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول هذه

القائمة.. ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق

في ذلك، ولكن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الإنسان

الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى

الديني والدينيوي. وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً، وبعد ١٣ قرناً من وفاته فإن أثر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يزال قوياً متجدداً).

وتظهر عظمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال ذلك الإعجاز الهائل الذي غير به ظاهرة الجزيرة العربية وأخرجها من بؤس الجاهلية وشقاء التقاليد الوثنية، فالجزيرة العربية كانت غارقة في جهل مطبق، وظلام دامس، وفقر مميت، وأن الذي يقارن بين الجزيرة العربية قبل البعثة وبعد البعثة يصاب بالذهول مما يراه من التحول الإعجازي الجذري الذي حصل فيها. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام يصف فيه هذه الحالة:

(بعثه والناس ضلال في حيرة، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستنزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من

الجهل، فبالغ (صلى الله عليه وآله وسلم) في النصيحة ومضى

على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة).

ويقول (عليه السلام) أيضاً في وصف الجاهلية قبل البعثة:

(أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم

واعترام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظ من الحروب.

والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من

ورقها وأياس من ثمرها وأغوار من مائها، قد درست منار

الهدى، وظهرت أعلام الردى، فهي متجهمة لأهلها،

عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة،

وشعارها الخوف، ودثارها السيف). الخطبة ١٥٧ / ٨٧.

فتحول الأعراب الغارقين في الصحاري المترامية

والجاهلية البائسة إلى حضارة منطلقة أعطت العالم روحاً

جديدة وأفاضت عليه تاريخاً مشرقاً وضاءً.

يقول المستشرق الأمريكي ادوارد وورمسي:

(وكانت العرب غارقة قبل نبوة محمد (صلى الله عليه وآله

وسلم) في أحط الدرجات حتى ليصعب علينا وصف تلك

الخرعبلات التي كانت سائدة في كل مكان، فالفوضى العظيمة التي كان الناس منهمكين فيها في ذلك العصر، وجرائم الأطفال - يعني قتلهم خشية الفقر - وواد البنات أحياء، والضحايا البشرية التي كانت تقدم باسم الدين، والحروب الدائمة التي تنسب آناً بعد آن بين القبائل المختلفة، والنقص المستديم في نفوس أهل البلاد وعدم وجود حكومة قوية. حتى أتى الوحي من عند الله إلى رسوله الكريم، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة فانتبه العرب، وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان الرذيلة المظلمة ولنتصور سكان البادية حينما رأوا أصنامهم تكسر على مرأى ومسمع منهم وهم المشهورون بالشجاعة والصلابة في الرأي وعدم الخضوع للغير، أفلا يثور ثائرهم ويهبون لقتل محمد؟ ولكنه كان يتكلم بكلام الله ربه، فقد كانوا يشعرون بذلك حيث يجدون في نبرات صوته هدى وتأثيراً كبيراً طاغياً، ولهذا لم

يستطيعوا القيام ضد تيار الحق، ولم يجدوا بداً من الجري في مجاري النقاء الجديد، لأنه اجتاح كل الموانع والسدود كما يجتاح السيل الجارف كل شيء يقف في طريقه وهكذا انتصرت الفضيلة على الرذيلة).

والذي يضيف على هذه الرسالة والرسول آفاق النجاح والموفقية في تحقيق أهدافها، هي تلك الانعطافة التي أحدثها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسيرة الحياة الإنسانية. فمع انطلاقة هذه الرسالة بدأ عهداً جديداً تحولت فيه الإنسانية إلى وجه جديد وحضارة متأقنة تتصاعد نحو التقدم والرقي، إذ أن الفكر الإنساني بدأ ينضج ويتبلور بعد أن استطاعت الحضارة الإسلامية أن تقدم إلى العالم النتاج العلمي الكبير الذي أصبح وبالفعل قاعدة لانطلاقة العلم الحديث، فقد أثار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) برسالته الخالدة كوامن الفكر، وأوقد جمره العقل، ورسخ منهج الاجتهاد والتجديد بعد أن حارب أفكار الجاهلية والتقليد الأعمى والاستعباد والاستبداد، لينير في درب الإنسانية مفاهيم الحرية والعلم، والشورى والإخاء والأخلاق، فبعد أن استطاعت الحضارة الإسلامية أن تمد جذورها في بلاد العالم بدأت مرحلة جديدة من الفكر والعقلانية، واتخذ العالم منهجاً متميزاً في إدارة أموره ليعتمد بالدرجة الأولى على الحرية والعلم والعقل.

فقد كان المنطلق الذي قامت عليه الرسالة هو العلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، والحرية (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم) والعقل (أفلاك يعقلون)، ليصبح الخطاب العلمي والعقلي هو المعجزة الكبيرة التي تمثلت في القرآن، ولذلك فإن القرآن الكريم يجسد في طياته مفاهيم حضارة جديدة باستطاعتها أن تغذي العالم بأفكار ورؤى تعطيه الطاقة الحيوية لبناء إنسانية متطورة.

يقول الكاتب الروسي الكبير تولستوي:

(ومما لا ريب فيه أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا لجدير بالاحترام والإجلال).

ويقول الكاتب الكبير برنارد شو:

(لأنني أكن كل تقدير لدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)،
لحيويته العجيبة فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له
طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وصالح لكل العصور.
لقد درست حياة هذا الرجل العجيب، وفي رأيي أنه يجب أن
يسمى منقذ البشرية).

نعم إنه منقذ البشرية ودينه دين الحياة والسعادة، يقول
تعالى في كتابه الحكيم: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ } إبراهيم/١.

ومما لا ريب فيه فإن انطلاقة الفكر الإنساني الحديث بدأت
على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما
حملت رسالته الخالدة إلى العالم تلك المفاهيم الراقية التي
غيرت التاريخ الإنساني لبدأ انعطافة حضارية جديدة لا
زالت تفيض على البشر بالعطاء والخير والعلم. فقد أرسى
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبدأ الحرية بصورة
عملية بعد أن أكد القرآن على ذلك في الكثير من آياته،
فكانت الحرية السياسية والفكرية التي تعطي للإنسان
الحق في التعبير عن رأيه (وأمرهم شورى بينهم) وكذلك
الحرية الدينية التي تمنح للأديان الأخرى الفرصة
لممارسة حقوقهم وقوانينهم (لا إكراه في الدين). وقد
ضرب الإسلام على طول تاريخه أروع الأمثلة في التعامل

مع الأديان الأخرى والتعايش معها، فنعمت هذه الأديان بالحرية والأمن.

يقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك:

(لم يكن الإسلام في أي يوم عدو الديانات الأخرى، بل إنه الديانة الوحيدة التي حافظت على حقوق أبناء الديانات الأخرى، وهذا موقف ساحر بكل تأكيد، وقلما شاهدنا في تأريخ الديانات هذا المستوى من السحر الذي نشاهده في الإسلام).

وإذا كان الغرب يدعي تصديه اليوم لطرح الأفكار الإنسانية الجديدة ومبادرته إليها مثل: الحرية والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان و..، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد سبقهم من قبل بعدة قرون، فكانت الحرية هي محور وجود الإنسان في الإسلام، والشورى هي الأصل الذي لا بد للحاكم أن يلتزم بها في ممارسة الحكم، والمساواة هي النظرة الاجتماعية العاملة التي يجب أن تحكم المجتمع الإسلامي، فلا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا بين عربي ولا أعجمي، إلا بالتقوى، والناس سواسية كأسنان المشط، فالمقياس للتفاضل في الإسلام هو الكفاءة المدعومة بالتقوى لا اللون والجنس والعنصر والطبقة، كما أن العدالة الاجتماعية هي القانون

الحاكم في الإسلام. لذلك نجد أن رسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قامت على هذه المفاهيم ضمت كل الفصائل البشرية على اختلافها، فكان إلى جنب الأغنياء في معسكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفقراء وإلى جنب العرب الفرس مثل سلمان الفارسي وإلى جنب الأبيض الأسود مثل بلال الحبشي،

يقول البروفسور كاراديفو في كتابه المحمدية:

(إن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هو النبي الملهم والمؤسس ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها، ومع ذلك فإنه لم ينظر إلى نفسه كرجل من عنصر آخر، أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين..، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أعضاء الكتلة الإسلامية، كان يطبق عملياً حتى على النبي نفسه).

وهكذا فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذر البذرة الأولى في حقل الإنسانية لإبداع عالم جديد يقوم على حركة من نوع جديد تحمل أفكاراً ومفاهيم جديدة. فأول مرة في تاريخ العالم بدأت أول حركة إصلاحية عالمية شاملة اعتمدت على السلم والأخلاق والعدالة

والحرية والشورى والمساواة ففتحت صفة حضارية ناصعة البياض وكتبت تاريخاً مشرقاً تفتخر به الإنسانية الى الأبد.

إن دراسة حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تكشف لنا عن عقل كبير استطاع أن يفهم الحياة بحكمة، ويتعامل مع الواقع الخارجي بحنكة سياسية كبيرة ينذر أن يرى لها التاريخ مثيلاً، فالحكمة السياسية التي تعامل بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أعدائه جعلته ينتصر عليهم بأسرع وقت وأقل الخسائر، فلا يمكن أن نجد على طول التاريخ قائداً سياسياً كبيراً استطاع أن ينتصر على أعدائه بهذه السرعة وهذا العدد القليل من الخسائر البشرية والمادية بعد أن كان لا يمتلك أي شيء من الإمكانيات المادية التي تؤهله لأن ينتصر غير عقله الكبير وحنكته السياسية، فقيادته للحروب مع المشركين واستخدامه لأذكي الاستراتيجيات العسكرية وخاصة في اختياره للمواقع الحربية واستخدامه لأساليب الحرب السليمة، تضعه في قمة التاريخ العسكري، وإذا كان تقييم الخبراء العسكريين لإدارة الحرب، بأنها الانتصار بدون حرب ودماء فإن هذا يجعله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذكي القادة في التاريخ.

ومن ناحية أخرى فإن الإدارة الحكيمة للصراع السياسي توضح عبقرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكشف عن أحد أهم أسباب نجاحه في حركته، ويبدو ذلك جلياً في صلح الحديبية حيث استفاد منه رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلّم) في تحكيم مواقع الإسلام وامتلاك حرية الحركة لأجل نشره، ويبدو واضحاً أيضاً في قدرته على إيجاد التوازن والاتحاد بين فئات المسلمين من المهاجرين والأنصار والأوس والخزرج وذلك من خلال مسألة التآخي التي يمكن أن تعتبر أكبر أطروحة سياسية ناجحة في التاريخ حيث رسخت دعائم الإسلام وأدت إلى تماسك المجتمع الإسلامي وقيادته نحو هدف مشترك. وكما يبدو ذلك أيضاً في تعامله الذكي مع المنافقين الذين كانوا يسعون إلى تخريب الإسلام من الداخل، ولكنه بحكمته (صلى الله عليه وآله وسلّم) استطاع أن يحجمهم ويستوعبهم.

ويظهر العقل الكبير للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) في فن إدارته للحكم وقدرته على تأسيس دولة حديثة قوية تمتلك نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً متوازناً، وحينها بدأت مرحلة تاريخية جديدة في حياة البشرية لم تتعرف عليها من قبل في أنظمة الحكم والدولة. فقد اتسع نطاق المدينة وتزايد عدد سكانها، وأخذ الناس يعمرون الأراضي الواسعة فكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) صحيفة بين المهاجرين تجعل أهل كل حي من الأنصار مسؤولين عن حيهم وعن أمن المدينة من ناحيتهم، فكانت حكومة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) حكومة شعبية زمامها بيد الشعب نفسه، فتحوّلت حكومة المدينة إلى حكومة مثالية لم يسمع فيها جرائم أو منازعات أو فوضى أو قلة نظام، وذلك بعد أن استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن يحجمهم ويستوعبهم.

وآله وسلّم) ترسيخ المثل الإسلامية وتوطيد المحبة وتحكيم المساواة بين الجميع وتحصين الأمة بالقوة الحقيقية والاطمئنان الواقعي والتقدم الصحيح، فساد الإيمان بالمثل والقيم الإسلامية في الناس، وتضاءلت المشاكل الفردية والنزاعات الشخصية، وغلب على الناس الاتصاف بروح الجماعة والتعاون والتحاشي عن الوقوع في المعاصي والجرائم، وظهر في الناس التحلي بالأخلاق الحسنة التي لم يعرفها الناس من قبل، فكان يؤثر الناس بعضهم بعضاً في العطاء والبذل في سبيل الله تعالى.. وقد شعر الجميع بأن زماناً جديداً يطل عليهم، فتهافتت القلوب إلى الإسلام وأخذ الناس يلتفون حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالطاعة والرضا وأخذت العشائر والقبائل والبلاد تتسابق إلى الإسلام فازدادت البلاد الإسلامية بذلك سعة ورحبا، كما ازدادت شعبية الحاكم وحرية الشعب الممتزجة بالإيمان والفضيلة وحب الخير فأنزل الله تعالى: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً }.

وبهذا الصدد يقول الكاتب الأمريكي سيرفلكد:

(كان عقل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) من العقول الكبيرة، التي قلما يوجد بها الزمان، فقد كان يدرك الأمر

ويدرك كنهه من مجرد النظرة البسيطة، وكان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في معاملاته الخاصة على جانب كبير من إيثار العدل، فقد كان يعامل الصديق والقريب والبعيد والغني والفقير والقوي والضعيف بالمساواة المطلقة. وكل هذه الفتوحات والانتصارات لم توقظ في شعوره العظمة والكبرياء، ففي ذلك الوقت الذي وصل فيه إلى غاية القوة والسيطرة كان على حالته الأولى في معاملته ومظهره، حتى بالرغم من الغنائم وغيرها فإنه كان يصرفها على نشر دعوته ومساعدة الفقراء.. وكان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يجد راحته وعزاه في أوقات الشدة والمحنة في الثقة بالله ورحمته، ومعتمداً دائماً على الله ليتمتع بالحياة الأخرى).
إن دراسة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحركته الإصلاحية الشاملة ومسيرته السلمية العادلة تلقي أنواراً مشرقة لاختيار الطريق نحو إيجاد التغيير وإنقاذ العلم الإسلامي.

الركائز الحضارية لحركة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلّم):

ويمكن أن نلخص الأعمدة الأساسية التي قامت عليها حركة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) الإصلاحية في الأمور التالية:

١ - الحرية الإسلامية: حيث إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) قام من أجل الحرية وإنقاذ الإنسان من الاستعباد الجاهلي، وعن طريق إنقاذ الناس من العبودية استطاع الرسول أن ينجح في حركته، وإذا أردنا أن ننقذ العالم الإسلامي فلا بد لنا أن نأبى من أجل الحرية.

٢ - الأمة الإسلامية الواحدة: فبعد أن جمع الرسول المسلمين ووحدهم في إطار أمة واحدة، انطلقت الأمة الإسلامية فبنت للعالم مجداً حضارياً بقيت الإنسانية تتمتع به طوال قرون عديدة. وإذا أردنا أن ننال المجد ثانية لا بد أن نسعى لتحقيق أمة إسلامية واحدة.

٣ - الأخوة الإسلامية: فعندما كانت روح الأخوة هي الحاكمة بين أصحاب الرسول استطاعوا النجاح، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأهله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ألغى الفوارق بين الغني والفقير، والأبيض والأسود،

والعربي والأعجمي، حتى أصبحت الأخوة الإسلامية هي المقياس في فهم العلاقات الاجتماعية، ومن ثم ساروا في الاتجاه المنطقي للحياة، وعلينا إذا أردنا أن نستعيد مجدنا الغابر الرجوع إلى الأخوة الإسلامية بمعانيها الصادقة.

٤ - الشورى: فعندما يساهم الناس بأرائهم في ممارسة الحكم وأخذ القرار تفتح الكفاءات ويرتبط الناس بالحاكم ويستعدون للتعاون معه مثل ما تعاون المسلمون مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صنع مجد الحضارة الإسلامية وإذا أردنا أن نتخلص من مآسينا لابد أن نتخذ الشورى منهاجاً في الحياة.

٥ - السلم واللاعنف: فإن العنف يحطم أهداف الحركة ويلغي مشروعيتها، وينفر الناس منها، بينما السلم يقودها نحو النجاح والتفاف الناس حولها. ولهذا نجح الرسول في بناء دعائم الإسلام وانطلاق حضارته.

٦- القانون الإسلامي: فقد بنى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مجتمعا متحضرا ومتماسكا عن طريق تطبيق القوانين الإلهية التي تمنح السعادة والاستقرار للمجتمع، فإذا أراد المسلمون أن يتخلصوا من مشاكلهم لابد أن يفهموا هذه القوانين ويسعون لتطبيقها. قال الله تعالى في كتابه العزيز: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً }.

٧ - مكارم الأخلاق: فلا يمكن النجاح بالأخلاق السيئة التي تنفر الناس وتبعدهم فقد استطاع الرسول أن ينجح بأخلاقه العظيمة مثل: العفو عن ظلمه، سعة صدره، وتحمله للأذى، صبره على المكاره، تشاوره مع أصحابه، حلمه وعدم غضبه، زهده وعدم ترفعه، جلوسه مع المساكين والضعفاء وعدم تكبره عليهم، مداراته للناس واستيعابهم عن طريق صلتهم وحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم إلى صفات كثيرة ترسم لنا طريق العمل السليم في حياتنا.

الفهرس

- ٣.....مقدمة لجنة البحوث والدراسات
- ٦.....المقدمة:
- ٧.....محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..... الإنسان
- ٩.....شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
- ١١.....الله اعلم حيث يجعل رسالته
- ١٣.....الجانب الروحي من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
- ١٣.....أولاً: علاقة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالله تعالى
- ١٥.....ثانياً: الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلاته
- ٢٠.....ثالثاً: صوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
- ٢٢.....رابعاً: دعاء المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكره الله تعالى
- ٢٦.....خامساً: حج البيت الحرام
- ٢٨.....سادساً: تلاوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للكتاب العزيز
- ٣٢.....سابعاً: يقين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوكله على الله
- ٣٤.....ثامناً: صدقته المستحبة
- ٣٨.....الجانب الاجتماعي من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

- أولاً: علاقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأمة ٣٨
- ثانياً: تواضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ٤٢
- ثالثاً: مصاديق من حلم المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ٤٤
- رابعاً: نماذج من صبره ٤٦
- خامساً: نبي الرحمة ٤٨
- الجانب السياسي من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ٥٠
- إدارة الدولة في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ٥٠
- الغرب ينحني تعظيماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ٦١
- الركائز الحضارية لحركة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): ٧٤

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماعة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد الصرخي الحسني (دام ظله)

www.al-hasany.com □
www.facebook/alsrkhy.alhasany
www.twitter.com/AnsIraq

www.al-hasany.net
E-mail: info@al-hasany.net

كُلُّ الْحَقِّ
مَحْفُوظٌ